الملتقى الوطني التاسع للفكر الإصلاحي في الجزائر

الطبعة التاسعة بمناسبة الذكرى 67 لاستشهاد

العلامة الشيخ العربي التبسي

"فكر الشيخ العربي التبسي وأثره على الحركة الإصلاحية والثورية في الجزائر"

يومي 25-26 ماي 2024،

جامعة تبسة

بسم الله الرحمن الرحيم

موقف الإمام العربي التبسي من الثورة التحريرية
–دراسة تاريخية فقهية–

The position of Imam Al-Arabi Al-Tepsi on the liberation revolution
-Historical and jurisprudential study-

أد ربيع لعور
أستاذ التعليم العالي
كلية الشريعة والاقتصاد
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية (الجزائر)
rabie.laouar@univ-emir.dz

الملخص:

تعالج المداخلة إشكالية موقف الإمام التبسي رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الثورة التحريرية، وقد انتهى البحث إلى أن شخصية الإمام ثورية لا غبار عليها، وأن مواقفه تميزت بالاحتكام إلى المرجعية الفقهية الشرعية؛ فابتدأ بالثورة الإصلاحية أولا؛ فأسهم في تخريج أبطال حملوا لواء التحرير، ولما اندلعت الثورة في 01 نوفمبر سارع بصفته الفردية إلى تأييدها ودعمها سرا فقهيا وماليا؛ لكنه تجنب التأييد العلني بصفته رئيس الجمعية ترجيحا للمصالح المتيقنة على المصالح المظنونة، ومتربصا مستقبل الثورة حتى يشتد عودها.

وهو ما حصل في جانفي 1956م، حيث أشهر سلاح الفتوى الشرعية العلنية في وجوه المحتل؛ ثم إنه رابط مع الشعب وأبى الخروج إلى تونس أو غيرها مُهدِفا نفسه للاستدمار الفرنسي إلى أن استشهد في ميدان جهاد الكلمة والمال، وما أقعده عن حمل السلاح إلا كبر سنه واشتداد مرضه.

الكلمات المفتاحية: التبسي – الثورة – جمعية العلماء –الفتوى.

ABSTRACT:
The intervention studies the problematic position of Imam al-Tebsi, head of the Association of Algerian Muslim Scholars, regarding the liberation revolution. The research concluded that the Imam's personality is revolutionary, and that his positions are subject to Islamic jurisprudence. He started with the reform revolution first; He raised heroes who carried the banner of liberation, and when the revolution broke out on November 1, he quickly, in his individual capacity, secretly supported it with money and fatwas. However, in his capacity as president of the association, he avoided the announcement, preferring established interests over questionable ones, while waiting for the revolution to become stronger and successful.
This is what happened in January 1956, when he issued a fatwa legitimizing the resistance. Then he remained patient with the people and refused to leave Algeria until he was martyred in the field of jihad of words and money, and the only thing preventing him from carrying weapons was his old age and severe illness.
Keywords: Al-Tabsi - Al-Thawra - Association of Scholars - Fatwa.

عنوان النشاط: الملتقى الوطني التاسع للفكر الإصلاحي في الجزائر.

تاريخ النشاط: 15-16 ذو القعدة سنة 1445 هـ الموافق 25-26 ماي 2024 م كلية الآداب واللغات، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي بولاية تبسة.

الجهة المنظمة: كلية الآداب واللغات، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي بولاية تبسة، الجمعية الثقافية الشيخ العربي التبسي بولاية تبسة.

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

إن الغنى الحقيقي للأمم ليس بما تحويه أرضها من ثروات بقدر ما تزخر به من رجالات، فالأمم العظيمة إنما تعظم بجلال رجالها، فهم قادتها والمقدمون فيها، وهم القدوة التي تصنع الأجيال القادمة، ولو نظرنا في النسيج الثقافي والاجتماعي في العالم الغربي؛ فإننا نلحظ ولعهم برجال ما حققوا عُشرَ ما أنجزه رجالات الجزائر، ومع ذلك؛ فإنهم يحتفون بهم ويشيدون بمناقبهم، ويطوون ذكره فضائحهم وجرائمهم، وشاهد هذا فرنسا التي اغتصبت الجزائر، وسامت أهلها سوء العذاب، وسعت جاهدة لطمر الشخصية الجزائرية، ومحاربة هويتها العربية والإسلامية.

وفي المقابل تجد بعض الباحثين من أبناء وطننا يُشيحون وجوههم عن حسنات الرجال، ويتصيدون لهم العثرات، وما هذا شأن المنصفين، وفي هذا الإطار جاءت هذه المداخلة التي وسمتها بعنوان:

موقف الإمام العربي التبسي من الثورة التحريرية

–دراسة تاريخية فقهية–

قد يتساءل أحدنا؛ فيقول: لماذا شخص العربي التبسي؟ ولماذا موضوع الثورة التحريرية بالضبط ؟، والجواب: لأن موقف المدرسة الإصلاحية تلقى ضربات متتالية من قبل بعض الباحثين أو بعض الدوائر الفكرية التي كانت لها مصلحة ضيقة في إلغاء دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الثورة التحريرية أو تحجيمه على الأقل، فللأسف أن هذه الأقلام تعاملت مع الجمعية بشطط، وتناست جهدها السابق أو اللاحق لتفسير موقفها الرسمي من اندلا ع الثورة التحريرية المباركة.

وبحكم أن الإمام العربي التبسي هو رئيس جمعية العلماء وقتئذ؛ فلا بد أن ينال شخصَهُ نصيبٌ وافرٌ من هذا النقد أو الطعن، والذي فاقمَ الوضع أنَّ الدارسين لهذه المواقف يغفلون عن الخلفية الفقهية لجمعية العلماء؛ فالمنهج العلمي يقتضي أن تُحاكِمَ الشخصية العلمية إلى أصولها المعرفية التي تتبناها، وخاصة إذا كانت هذه الأصول مسلمة لبعض النُّقادِ بصفتها أصولا وقواعد شرعية.

1 – إشكالية المداخلة:

يُفترَضُ أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين جمعية إصلاحية جاءت لبعث النَّفَسِ الديني والقومي للجزائريين، فمناهجها التعليمية، وأناشيدها المدرسية، وأهازيج شعرائها الأدبية؛ تنضح بروح الاستقلال

والانتفاض على الاستدمار الفرنسي، فتخلفها رسميا عن تأييد الثورة المباركة ليلة الفاتح من نوفمبر 1954 م يثير تساؤلات عدة.

وبحكم أن الشيخ العربي التبسي يمثل قمة الهرم في الجمعية، ومع استحضار تكوينه الشرعي العالي المزدوج في جامعتين من أعرق الجامعات في العالم الإسلامي، وهما جامع الأزهر الشريف في مصر، وجامع الزيتونة في تونس، فإن إشكال المداخلة يُصاغُ وفقَ الآتي:

ما موقف الشيخ العربي التبسي من الثورة التحريرية؟ وما المدارك الشرعية التي انتهت به إلى هذا الموقف؟

2 – أسباب المداخلة:

ترجع هذه المداخلة إلى جملة أسباب هذه أهمها:

- التنقص المنهجي لجهود جمعية العلماء وتضحيات رجالاتها في الثورة التحريرية.
- غياب دراسة شرعية لهذه المواقف ضمن الدراسات التاريخية، لأن من وظيفة المؤرخ الاستفادة من العلوم المساعدة في تفسير الأحداث تفسيرا موضوعيا.

3 – أهمية المداخلة:

- أهمية البعد الديني في الثورة التحريرية.
- أهمية شخصية العلامة العربي التبسي بصفته إمام الجمعية ورئيسها الفعلي.
- أهمية هذه المدة الزمنية في تاريخ الجزائر، ومفصليتها في تفسير ما حدث بعد الاستقلال.

4 – أهداف المداخلة:

- إنصاف الشيخ العربي التبسي، وإبراز موقفة الشريف في نصرة الثورة المباركة.
- تفسير تلك المواقف بالأدلة الشرعية تمشيا مع الخلفية الفقهية للتبسي.
- إبراز غلط بعض الدراسات التاريخية التي تنحو منحى حكاية الأحداث دون مراعاة للعلوم المساعدة.

5 – منهج المداخلة:

اعتمدت المداخلة على المنهجين الآتيين:

- **المنهج الاستقرائي**: ووظيفته تتبع مواقف الشيخ التبسي، وترتيبها وفق كرنولوجيا أحداث الثورة المجيدة.

- المنهج التحليلي: تشغيله في تحليل هذه المواقف، وتفسيرها وفقا للمدارك الأصولية والتعليلات الفقهية التي يستند إليها الفقهاء.

الدراسات السابقة:

كثيرة هي الدراسات التي اعتنت بالجمعية عموما أو بشخص رئيسها العربي التبسي زمن الثورة خصوصا، ولكنها جميعا تسلك المنهج التاريخي المحض في ذكر الحوادث؛ ثم تختلف النتائج بحسب المعلومات التاريخية ودقتها عند المؤرخ أو بحسب القاعدة الفكرية التي ينطلق منها، ومن ثم تجدها عَرِيَّةً عن التفسير الفقهي لهذه المواقف، وهو ما دفعني إلى دراسة هذا الموضوع من خلال هذه الزاوية.

خطة البحث:

تبعا لما سبق؛ فإنني اخترت أن أسلك في دراسة الموضوع الخطةَ الآتية:

أولا: موقف الإمام العربي التبسي من الثورة قبل إعلانها.

ثانيا: موقف الإمام العربي التبسي الفردي من الثورة بعد إعلانها.

ثالثا: موقف الإمام العربي التبسي رئيس الجمعية من الثورة بعد إعلانها.

رابعا: موقف الإمام العربي التبسي رئيس الجمعية من إعلان الثورة بعد إشهار تأييد الجمعية لها.

وفيما يأتي تفصيل ما تم إجماله، وبالله تعالى نستعين.

أولا: موقف الإمام العربي التبسي من الثورة قبل إعلانها.

يخطئ خطأ كبيرا من يظن أن الثورة حدث تاريخي مفاجئ، أو فلتة من فلتات الدهر وقى الله تعالى شرها ويسر خيرها، فهذا الحدث الذي غيَّرَ مجرى تاريخ الجزائر، بل وعدة دول إفريقية نالت استقلالها بسببه، ما هو إلا ثمرة لأحداث سابقة، وتكليل جهود متناسقة متتابعة.

وفي تقديري أننا إذا أردنا أن نُقَوِّمَ الموقف القَبْليَّ للتبسي من الثورة لا بد أن نربطه بهيئة الجمعية التي كان ينتسب إليها، وكلُّ منصف يدرك أن عمل الجمعية كان فَرشًا ممهدا للثورة، وذلك من خلال أذرعها الإصلاحية، التي تتمثل في الآتي:

1 – المدارس ومعهد الإمام ابن باديس: من أخطر مشاريع الاستدمار الفرنسي اغتيال العقل الجزائري بالتجهيل، وهذا ما تمَّ استهدافه على مراحل مدروسة، وبخطط رهيبة، تمَّ من خلالها تحجيم دور التعليم ابتداء؛ ثم انتهى إلى تجريم التعليم وعمل المعلمين، ولا غرابة أن ينتهيَ الحال بالجزائريين

إلى نسبة ثمانين 80% من الأمية قُبيلَ الاستقلال، في حين أنها تكاد تنعدم غداة احتلال الجزائر سنة 1830م.

وقد حملت جمعية العلماء على عاتقها حملا تنوء به الجبال الرواسي؛ فسخرت عقول علمائها والأموال القليلة لأنصارها في تشييد المدارس وتعليم النشء، إيمانا منها أن تحرير العقول قبل تحرير الحقول كما يقول الإمام الإبراهيمي عن عمل الجمعية: "... وأوَّلُ يد بيضاء لها في هذا الباب تحرير العقول من الأوهام والضلالات في الدين والدنيا، وتحرير النفوس من تأليه الأهواء والرجال، **وإن تحرير العقول لأساسٌ لتحرير الأبدان، وأصْلٌ له، ومحال أن يتحرّر بدَنٌ يحمل عقلًا عبدًا** ...."[1].

وعليه، فقبل أن تحصل ثورة عسكرية لا بد أن تسبقها ثورة فكرية، وهذا ما لم يغب عن دهاء صناديد الاحتلال؛ فوضعوا عقبة كأداء في طريق المصلحين، ولكن جميع مؤامراتهم باءت بالفشل الذريع، وتحطمت على صخرة إخلاص علماء الجمعية، ومن ألمع رجالاتها القائمين على ثغر التعليم الإمام العربي التبسي، ولنترك للإمام الإبراهيمي المجال ليصف شخصه بقلمه البليغ، حيث يقول: "ولما مات الأستاذ- رحمه الله- **اضطلعت جمعية العلماء بذلك التعليم وأسندته إلى الكفء المجمع على كفاءته في هذا الباب وهو الشيخ العربي التبسي** ونقلت مركزه من قسنطينة إلى تبسة نقلًا مؤقتًا نزولًا على حكم الضرورة، **فقام الأستاذ التبسي وأعوانه خير قيام بما أسند إليهم**،...".[2]

ويقول أيضا: "**قد كنت مدخرًا لإدارة المعهد كفؤها الممتاز وجذيلها المحكك الأخ الأستاذ العربي التبسي** الذي كانت تمنعه موانع قاهرة من تولّي الإدارة ومن الانتقال من بلده إلى قسنطينة، وكنت أقدِّرُ تلك الموانع، وأزنها بميزانها الصحيح، وأراها بمثل العين التي يراها بها. فكيف العمل؟ العمل هو جعل تلك العوامل كلها عاملًا واحدًا، وتفتيته حتى يصير ذرات، **أرضينا سكان تبسة الكرام الذين كانوا يعدون انتقال الأستاذ التبسي عنهم كبيرة يرتكبها من يتسبَّبُ فيها، وأقنعناهم بأن الشيخ العربي رجل أمَّة كاملة لا بلدة واحدة، ورجل الأعمال العظيمة لا الأعمال الصغيرة؛ فاقتنعوا**".[3]

والمدارس عملت نشاطا عظيما في بيان معاني الدين الصحيح، الدينُ الذي يحمل صاحبه على التحرر والانتفاض على الظالمين، لا الدين الذي يخدر العقول ويغلُّ الأجساد، وهذا ما يستشف من

---

[1]. آثار الإبراهيمي (56/3).

[2]. آثار الإبراهيمي (171/2).

[3]. آثار الإبراهيمي (217/2).

تقدمة العربي التبسي لكتاب رسالة الشرك ومظاهره، فمما جاء فيها: "فإذا هي رسالة تعد في أوليات الرسائل أو الكتب المؤلفة في نصر السنن وإماتة البدع، تقر بها عين السنة والسنيين، وينشرح لها صدور المؤمنين، **وتكون نكبة على أولئك الغاشين للإسلام والمسلمين من جهلة المسلمين ومن أحمرة المستعمرين، الذين يجدون من هذه البدع أكبر عون لهم على استعباد الأمم؛ فيتخذون هذه البدع التي ينسبها البدعيون إلى الدين الإسلامي مخدراً يخدرون بها عقول الجماهير، وإذا تخدرت العقول وأصبحت تروج عليها الأوهام وجدت الأجواء التي يرجوها غلاة المستعمرين للأمم المصابة برؤساء دينيين أو دنيويين يغشون أممهم ويتاجرون فيها**". [1]

ومما يحتسب للشيخ أنه كان يعمل حِسبةً لا يتعاطى أجرا على ذلك، قال عنه الإبراهيمي: "... **أما هو فلم يزل مُصرًا على التبرّع بأعماله، خالصة لله وللعلم**".[2]

هذه الجهود تكللت بثمارها؛ فمن خريجي المدارس قادة ومجاهدون أشاوس وشهداء أبرار، نكتفي ببعض الأسماء فقط:

- الشهيد العربي بن مهيدي: خريج مدرسة التربية والتعليم ببسكرة.
- الشهيد عموري محمد قائد الولاية الأولى سنة 1957 ممن درس بمعهد ابن باديس.
- الشهيد: الرائد عمر إدريس، النائب الأول لقائد الولاية السادسة.
- المجاهد إبراهيم مزهودي: من جلساء محاضرات الشيخ التبسي.

2 – **النوادي**: تميز الجهد الإصلاحي للجمعية بالاستيعاب، فقد حاولت قدر مستطاعها أن تمس بخطابها الإصلاحي جميع فئات الشعب الجزائري، وهو ما قادها إلى استحداث النوادي، التي هي أشبه ما يكون بمقاهي ثقافية تحاول من خلالها تجنيب الشباب المخدرات العقلية ممثلة في الخمور، وكذا المخدرات العقلية المتمثلة في الأفكار الهدامة التي تلبس لباس الدين، وقد نجحت هذه النوادي أن تكون حصنا يأرز إليه المثقفون والسياسيون وعوام الشعب، وخاصة منهم فئة الشباب، وهذه التهيئة الشعبية لها ما بعدها؛ لأن أي ثورة مسلحة محكوم عليها بالفشل ما لم تسند ظهرها إلى شعبها، على حد قول ماوتسي تونغ: "إن أي ثورة لن تنجح حتى تكون وسط الشعب كالسمك في الماء".

---

[1]. مقدمة رسال الشرك ومظاهره (ص29).

[2]. آثار الإبراهيمي (132/2).

يقول الإمام الإبراهيمي: "فأنشأت مشروع النوادي؛ لتكون وسطًا طبيعيًا بين المساجد والمدارس، وتلتقي فيها بالشبَّان الذين هم وسط طبيعي بين الشيوخ والأطفال.

أنشأت الجمعية في مدة قصيرة عشرات النوادي في المدن والقرى، **وَدَعَت إليها الشبَّان فاستجابوا وأقبلوا عليها؛ لأنها أقرب إلى أمزجتهم؛ ولأن فيها شيئًا من التسلية والمرح**".[1]

كما أن النوادي كانت محفلا ثقافيا تُلقى فيها الخطب بحسب المناسبات الدينية والوطنية، يقول الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله: "كما أن جمعية العلماء قد أسست النوادي ليتبارى فيها الخطباء في المناسبات المختلفة".[2]

ومشهورٌ أن الإمام التبسي كان من خطباء الجمعية المصاقع الذين تخشع القلوب عند الإنصات إلى كلامهم.

ومن عُمَّارِ نوادي الجمعية:

- الشهيد مصطفى بن بولعيد: وقد درس أيضا في مدرسة الجمعية بآريس، ومن شيوخه: العلامة عمر دردور تلميذ الإمام ابن باديس.[3]
- الشهيد العقيد عميروش: شعبة الجمعية بباريس.

3 – الكشافة الإسلامية الجزائرية:

علاقة جمعية العلماء بالكشافة علاقة وثيقة؛ فالمؤسس الفعلي للكشافة الشهيد محمد بوراس هو من أعضائها، والمتتبع لسير الحركة الكشفية يُدرك مدى الارتباط الوثيق بين الجمعية والكشافة، وإن كانت مستقلة تنظيميا؛ فقد سخرت الجمعية صحافتها ومقراتها في خدمة الأنشطة الكشفية، وهذا ما نجد آثاره في تعاليم الكشافة وأهدافها المسطورة؛ يقول الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله: "ومن الملفت للنظر أن نجد الكشافة تدعو إلى التمسك بمبادئ الإسلام ونبذ الإلحاد وإلى التحذير من الانحراف الديني ونشر الأفكار الهدامة بين عناصر أمة تدين بالإسلام السمح، وهي في الواقع تقف ضد القوانين الوضعية أصلا ...".[4]

وقد جاء في بلاغ الكشافة سنة 1950 أنها تهدف إلى: "تكوين شباب مسلم شهم ذي وعي تام".[5]

---

[1]. آثار الإبراهيمي (173/4).

[2]. تاريخ الجزائر الثقافي (108/8).

[3]. حياة البطل الشهيد مصطفى بن بولعيد، ص 25-26.

[4]. تاريخ الجزائر الثقافي (31/10).

[5]. انظر: تاريخ الجزائر الثقافي (28/10).

وقد كان من ثمار الكشافة قادة عظام وأبطال شجعان أثبتوا جدارتهم في ثورة التحرير وسنكتفي ببعض الأمثلة فقط:

- الشهداء: ديدوش مراد – زيغود يوسف – باجي مختار – سويداني بوجمعة – العربي بن مهيدي.
- الشهيدة حسيبة بن بوعلي– الشهيدة مريم باج.

هذه أهم الأذرع الإصلاحية للجمعية، ولم أذكر المساجد؛ لأن نشاط علمائها المسجدي لا يحتاج إلى بيان، يبقى فقط ضرورة توضيح علاقة الجمعية وتحديدا الإمام العربي التبسي بالأحزاب الوطنية؛ فدورها في تحقيق الإصلاح الوطني لا ينكره إلا مكابر.

من حيث المبدأ تنصُّ لوائح الجمعية الرسمية أنها لا تشتغل بالسياسة، وإنما تشتغل بنشر التعليم الحر وترشد الناس إلى شؤون دينهم،[1] هذا هو المعروف عنها؛ فهي أساسا جمعية إصلاحية تنأى بنفسها عن الانتخابات ودوائر السياسة، بيد أنها سمحت لأفرادها بصفتهم الشخصية خوض غمرات السياسة ضمن الأحزاب الوطنية.

فبهذا الاعتبار لم تكن ميادين الجمعية صناديق الانتخاب، ولكن هذا لا يعني خلو ذمتها من الاشتغال بالسياسة، وفقا لمنظورها كما سطره أساطينها؛ فهذا الإمام الإبراهيمي يقول: "إذا كان الإسلام دينًا وسياسة، **فجمعية العلماء دينية سياسية**، قضية مقنعة لا تحتاج إلى سؤال ولا إلى جواب، **وجمعية العلماء ترى أن العالم الديني إذا لم يكن عالما بالسياسة ولا عاملًا لها فليس بعالم، وإذا تخلَّى العالم الديني عن السياسة فمن ذا يصرفها ويديرها؟**".[2]

وبناء عليه، فالشيخ التبسي كان على هذا المنوال، رجلٌ يسعى للإصلاح الديني بمفهومه الواسع، وليس منقطعا عن النشاط الحزبي، بل كان فاحص النظر فيه، له ثقوب نظر في مآلاته؛ هدفه النصح لا المنافسة الحزبية الضيقة، نقل عنه الإبراهيمي بواسطة تلاميذه وخلصائه المقربين الآتي: "... وإن حديثه **في السياسة إذا انجرَّ الحديث إليها كان كله حملات على الاستعمار ومكائده**، وإنه لا يرجى منه خير، **وإن حديثه عن السياسيين والنوَّاب، كان حديث المحايد الحرِّ الذي لا يتحيَّزُ لفريق دون فريق، ولا يرضى لنفسه ولمقامه أن يكون بوق دعاية لمبدإ دون مبدإ، لأن مبدأه**

---

[1]. انظر: تاريخ الجزائر الثقافي (208/10).

[2]. انظر: آثار الإبراهيمي (170/4).

أسمى منها جميعًا، وكان حديث العالم الذي يزن الرجال بأعمالهم، وحيث لا أعمال فلا رجال، ويزن الأحزاب بوضوح مباديها، وحيث لا وضوح في المبادئ فلا أحزاب".[1]

وعليه، فلم يكن التبسي بمعزل عن رجال السياسة، بل كان يزنهم بموازين مستمدة من خلفيته الشرعية؛ فيصوب الصواب، ويكشف الغلط، وهذا يدل على الانفتاح الذي تميز به عقله، والرحابة التي وسمت بها ثقافته، لكنه لما خلص إلى أنَّ تشتت الأحزاب عاد على القضية الوطنية الكلية بالإبطال؛ انتفض على شرعيتها، ودعا إلى رفضها وضرورة اجتماع الكلمة؛ لأن بقاءها على النحو المذكور يطيل ليل الاستدمار، ويحول دون طلوع فجر الاستقلال.

قال الشيخ العربي التبسي سنة 1953م، أي قبيل اندلاع الثورة بعام ما يأتي: "إن الحالة بالجزائر لا تبرر تعدد الأحزاب؛ فبقاء الأحزاب فيها إطالة لعمر الاستعمار، والاتحاد الشعبي هو الذي يستطيع أن يغير الحال في البلاد ...".[2]

هذا، وخليق بنا أن نشير إلى ميدان تميَّزَ به الإمام التبسي ولم يُجارِهِ فيه إلا القلة من الفقهاء؛ وهو جهاد الاحتلال الفرنسي بسلاح الإفتاء، فإنَّنا إذا نظرنا إلى فتاوى الإمام التبسي قبل اندلاع الثورة؛ نجد أنها حرب على الاستدمار وأهله، وأنه قد صان بها دين كثير من الجزائريين ممن ينصاعون إلى فتواه، وقد تتبع أستاذنا الدكتور كمال لدرع بعض هذه الفتاوى مبينا أثرها في محاربة الاستدمار الفرنسي؛ وذكر الآتي:

- فتوى تحريم التجنيس باعتباره رئيس لجنة الإفتاء بجمعية العلماء.
- فتوى تحريم الزواج بالفرنسية.
- فتوى منع استئناف الأحكام الشرعية لدى المحاكم الفرنسية.
- فتوى في منع إنفاذ الوصية للورثة على يد الموثق المدني الفرنسي.
- فتوى تحريم التحاكم في المسائل الدينية على غير المسلمين.[3]

فهذه الفتاوى وأشكالها صنعت جيلا يحمل في قلبه بغض الاستدمار الذي كان وصية الإمام التبسي لطلابه وجلسائه، حتى اشتهرت عنه القولة المشهورة: "**من عاش فليعش بعداوة فرنسا ... ومن مات فليحمل معه هذه العداوة إلى القبر**".

---

[1]. انظر: آثار الإبراهيمي (178/2).

[2]. مجلة المنار، السنة الثانية، العدد الصادر بتاريخ 6/ 1953/2.

[3]. انظر: فتاوى الشيخ العلامة العربي التبسي وأثرها في نشر الوعي الوطني ومقاومة الاستعمار الفرنسي، ص 214-219.

والخلاصة أن جهود الإمام التبسي قبل الثورة جميعا، تشهد بأنه أحد مصانع الرجال الذين خرجوا للأمة رجالا دكوا عروش المحتلين، واجتثوا وجودهم، وأذاقوهم سوء العذاب، وكل شيء من معدنه لا يستغرب؛ فهو من أرض النمامشة التي شهد أحد قادة الاحتلال –الجنرال فانوكسيم Vanuxem– ببسالة أهلها، فقال: "جبال النمامشة بمثابة أبواب الجحيم".[1]

ثانيا: موقف الإمام العربي التبسي الفردي من الثورة بعد إعلانها.

إعلان الثورة كان حدثا مفاجئا للإدارة الفرنسية ولأكثر الجزائريين، وأقصد النخب المثقفة تحديدا؛ فقد حرصت ثُلَّةٌ من شباب الحركة الوطنية على إشعال الثورة التحريرية، وزجِّ الأمة في خضم الصراع الحقيقي مع المستدمر، ونبذ الخلافات الضيقة، والملاسنات الحزبية، التي عكَّرَت المشهد السياسي قبيل الفاتح من نوفمبر.

وأمام هذا الحدث الجلل، الذي صار معلوما بالنسبة إلى جيل الاستقلال، ورجالاته أشهر من نار على علم، وجدنا من يغمز قناة علماء الجمعية، ويثلب موقفهم منها، وفي المقابل هناك من يصرُّ على أن الجمعية صانعةُ الثورة، ليس من باب التسبب كما أسلفنا، ولكن من باب المباشرة، وفي تقديري أن كلا الطرفين جانبا الصواب، وارتكبا جناية على الجمعية، إما بالتضخيم أو التقزيم.

جمعية العلماء هيئت للثورة، وصنعت الرجال، ومهدت الطريق، وأخذت بقسط وافر من ذلك، ولكنها كما قال الأول:

للحرب أقوام لها خُلقوا .... وللقراطيس كُتَّابٌ وحُسَّابُ.

اندلعت الثورة؛ وهي من الناحية العسكرية مغامرةٌ للأسباب الآتية:

- **عدَدُ الثوار**: لا يتجاوز 1200 مجاهد.
- **عُدَدُ الثوار**: 400 قطعة سلاح.
- **جغرافيا الثورة**: توزع محدود نسبيا: الأوراس، القبائل، الشمال القسنطيني، العاصمة، وهران.
- **قيادة الثورة مغمورة**: شباب ليسوا من القيادات المشهورة على المستوى الوطني.
- **فشل الثورات السابقة**: شهدت الجزائر منذ 1830 م إلى غاية 1928م، ثورات كثيرة، آخرها ثورة الشيخ أمود بن المختار؛ انتهت جميعا بالفشل في تحقيق الاستقلال.

[1]. معركة جبال النمامشة، دومينيك فارال، ص18.

- **قوة الاحتلال الفرنسي**: خامس جيش في العالم، وعضو في الحلف الأطلسي.

هذه الأسباب وغيرها تحمل بعض من يعايش الحدث على التأنّي في اتخاذ موقف يؤيد أو يحايد حفاظا على مكتسباته التي حققها.

ومع ذلك؛ فإن الشيخ العربي التبسي سارع إلى تأييد الثورة سرا بصفته الفردية، ويمكن تلخيص موقفه في الجوانب الآتية:

- **الجهاد بالفتوى الفقهية**: أفتى الشيخ العربي التبسي بمشروعية الجهاد، واعتذر عن الالتحاق بها بسبب كبر سنه وشدة مرضه، وقال: "والله لو كنت في صحتي وشبابي ما زدت يوما واحدا في المدينة أذهب إلى الجبل فأحمل السلاح، وأقاتل في سبيل الله مع المجاهدين".[1]
- **الجهاد بالمال**: روى الرائد عثمان سعدي قصة تبرع الشيخ التبسي بمبلغ خمسين ألف فرنك فرنسي قديم للثورة.[2]
- **تحريض المقربين على الجهاد**: استأذنه ابن أخته المجاهد: إبراهيم حاتي المدعو: باهي، في الالتحاق بالثورة في بداية شهر جانفي 1955م؛ فشجعه ودعا له، كما أثمر تشجيعُهُ التحاقَ غير واحد من إطارات الجمعية بالثورة التحريرية.[3]

ومن الناحية الفقهية، يمكن التأصيل لهذا الموقف بالأدلة الآتية:

1 – قال الله تعالى: ﴿**انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ (التوبة:41)

قال الإمام القرطبي: "والصحيح في معنى الآية أن الناس أمروا جملة أي انفروا خفت عليكم الحركة أو ثقلت ... واختلف في هذه الآية، فقيل إنها منسوخة ... والصحيح أنها ليست بمنسوخة ... قلنا: إن النسخ لا يصح. **وقد تكون حالة يجب فيها نفير الكل، وهي: الرابعة: وذلك إذا تعين الجهاد بغلبة العدو على قطر من الأقطار، أو بحلوله بالعقر، فإذا كان ذلك وجب على جميع أهل تلك الدار أن ينفروا ويخرجوا إليه خفافا وثقالا، شبابا وشيوخا، كل على قدر طاقته** ....".[4]

---

[1]. دور التبسي في الحركة الوطنية والثورة، ص 260.

[2]. دور التبسي في الحركة الوطنية والثورة، ص 260.

[3]. دور التبسي في الحركة الوطنية والثورة، ص 260.

[4]. تفسير القرطبي (150/8).

والمعنى أن الله تعالى أوجب على المؤمنين النفير، ومن أعظم صور النفير احتلال الكافر لأرض المسلمين؛ فالجهاد في هذه الحال فرض عين على الذكر والأنثى والشاب والشيخ القادر، ويجب على المسلمين دفعه بقدر الإمكان، وهذا ما حضَّ التبسي إلى المسارعة في تأييد الثورة؛ ودعمها بماله الخاص امتثالا لقول الله تعالى في نفس الآية: ﴿ **وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾، فبحكم كبر سن الشيخ واشتداد المرض به؛ فإنه من المعذورين شرعا بنص قول الله تعالى: ﴿ **لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴾ (الفتح: 17) ، ومع ذلك فإنه نصرَ الثورة بماله الخاص، مع أنه بذلك يهدف بنحره إلى المستدمر الفرنسي الذي لا يرحم جزائريا؛ فكيف إذا أيَّد الثورة ضده ؟؛ فكيف إذا كان ممن يقتدى بهم كالعلماء ؟!

والجهاد بالمال من أعظم أبواب الجهاد، كما يومئ إليه تقديمه على النفس في الآية السابقة، وهو ما قررته السنة النبوية؛ فقد صحَّ عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ**».[1]

يقول الإمام القرطبي: "وهذا وصف لأكمل ما يكون من الجهاد وأنفعه عند الله تعالى؛ فحض على كمال الأوصاف، وقدم الأموال في الذكر إذ هي أول مصرف وقت التجهيز؛ فرتب الأمر كما هو نفسه".[2]

2 – قال الله تعالى: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (39) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَواتٌ وَمَساجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ (الحج 39-40).

يقول الإمام الإبراهيمي مستنبطا من الآية أن فيها: ".... بيان للشروط المسوغة للحرب في الإسلام، تحمل عليها نظائرها في كل زمان".[3]

وعشرُ ما فعلته فرنسا في الجزائر يبيح القتال بل يوجبه؛ فإنها ما تركت للجزائريين دينا ولا دنيا، وهذا ما استند إليه الإبراهيمي في فتواه الشهيرة في تأييد الثورة حين قال: "إن فرنسا لم تبقِ لكم دينًا ولا

---

[1]. رواه أبو داود، رقم: 2504، وصححه الألباني.

[2]. تفسير القرطبي (153/8).

[3]. آثار الإبراهيمي (93/5).

دنيا، وكل إنسان في هذا الوجود البشري إنما يعيش لدين ويحيا بدنيا، فإذا فقدهما؛ فبطن الأرض خير له من ظهرها".[1]

ولم يصدر من الإمام التبسي ما يعارضها، بل إنه سارع عملا إلى تنفيذها قبل أن تبلغه؛ لأن الجميع يستمد نور الهداية من مشكاة واحدة.

3 – قال الله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ** ...﴾ (الأنفال: 61).

دعت الآية إلى وجوب إعداد القوة فيما استطاعه المسلمون إرهابا لعدوهم وحفظا لبيضتهم، وهذه الآية قد حرص على تطبيقها المجاهدون من خلال الإعداد المحكم للثورة، ولكن بغاية مقدورهم، أملا منهم في تأييد الشعب الجزائري من ناحية الدعم البشري والمالي، أو الدعم العسكري والمالي من الدول الشقيقة والصديقة.

4 – قال الله تعالى: ﴿**كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ (البقرة: 249).

إنَّ إيمان الإمام التبسي العميق بالله تعالى، جعله يقف هذا الموقف العظيم في تأييد الثورة؛ فالناظر في الموازين العسكرية بين الفريقين، سينتهي إلى نتيجة يراها منطقية، وهي استبعاد انتصار الثورة على فرنسا، ولكن فقهه العميق بأحكام الدين جعله ينصر الثورة، **لأن الشريعة الإسلامية لا تحرم المغامرة بالجهاد إذا طمع المسلمون في الانتصار على عدوهم**، ولو تعذَّر عليهم تكافؤ القوى، **وبخاصة أن تراجع المجاهدين عن الثورة في هذا التوقيت لن يشفع لهم عند فرنسا، بل إنه سيجرئها عليهم بتنفيذ مجازر فظيعة تؤدب الجزائريين في نظرهم إلى أجل مسمى**، وهو ما صرح به الجنرال المجرم ريمون دوفال Deval أحد سفاحي مجازر 08 ماي 1945م حين كتب إلى الحكومة الفرنسية: "لقد منحتكم السلام لمدة عشر سنوات".[2]

فالواجب الإقدام مع تحري أسباب النصر على العدو، وهذا النظر الفقهي وجدت له شاهدا في تراثنا الفقهي، حيث يقول الإمام ابن قدامة عن حكم الثبات في وجه العدو مع كونه أكثر عددا وقوة من المسلمين: " ... وإن غلب على ظنهم الهلاك في الإقامة، والنجاة في الانصراف فالأولى لهم

---

[1]. آثار الإبراهيمي (34/5).

[2]. أحداث 08 ماي 1945 دراسة تاريخية قانونية، ص 134.

الانصراف، **وإن ثبتوا جاز، لأن لهم غرضا في الشهادة،** ويجوز أن يغلبوا أيضا، **وإن غلب على ظنهم الهلاك في الإقامة والانصراف، فالأولى لهم الثبات،** لينالوا درجة الشهداء المقبلين على القتال محتسبين، فيكونون أفضل من المولين، **ولأنه يجوز أن يغلبوا أيضا،** فإن الله تعالى يقول: ﴿**كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ (البقرة: 249)، ولذلك صبر عاصم وأصحابه، فقاتلوا حتى أكرمهم الله بالشهادة".[1]

هذه جملة من المدارك الشرعية التي يمكن من خلالها فهم إقدام الإمام التبسي على تأييد الثورة بصفته الفردية.

ثالثا: موقف الإمام العربي التبسي رئيس الجمعية من الثورة بعد إعلانها.

من الموضوعية أن نُقرَّ بأن الشيخ العربي التبسي تلكأ في تأييد الثورة بصفته رئيس الجمعية في الجزائر، وهنا يقف الباحثون مختلفين في تقييم الموقف، بين من يتهمهم بخذلان الثورة أو من يعتذر لهم بمعاذير، وهذا مربط الفرس في هذه المداخلة، فقبل أن نعطي تفسيرا لهذا الموقف بالإدانة أو الإشادة، علينا أن نستحضر أننا بصدد الحديث عن جمعيةِ علماءٍ؛ ينضوي تحت لوائها فقهاء راسخون في العلم؛ لهم مرجعيتهم الشرعية التي ينطلقون منها في تحليل الأحداث، واتخاذ القرارات، فنظرة الفقيه ليست كغيره؛ لأنه يستحضر مسؤوليته الشرعية على كل فتوى ينطق بها؛ فلا بد –إذن– أن نستحضر في تقويم موقف الإمام التبسي ورفقائه الآتي:

1 – مشروعية التقية مع الكافر:

قال الله تعالى: ﴿**لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ**﴾ (آل عمران: 28).

كثيرٌ من المنتقدين لموقف الجمعية الرسمي من الثورة غداة إعلانها، أو لبعض ما جاء في تراث الجمعية يغفلون عن هذا المنزع في تصرفاتهم؛ فالقرآن الكريم يبيح للمسلم أن يتقيَ شرَّ الكافر حال الإكراه بقول أو فعلٍ فيه مخالفة شرعية، وهو ما لا يفقهه باحثٌ من جيل الاستقلال، فتح عينيه على الحرية؛ فلا يستسيغ مثل هذا الكلام، ولو أنه عاش دقيقة واحدة تحت حكم المستدمر الفرنسي لفهم الضرورة الملجئة لهم على مثل ذلك الكلام أو الفعل.

[1]. المغني (320/9).

يقول الإمام ابن عطية: "هذا النهي عن الاتخاذ إنما هو فيما يظهره المرء، فأما أن يتخذه بقلبه ونيته فلا يفعل ذلك مؤمن، والمنهيون هنا قد قرر لهم الإيمان، فالنهي إنما هو عبارة عن إظهار اللطف للكفار والميل إليهم، ولفظ الآية عام في جميع الأعصار ... **وذهب جمهور المفسرين إلى أن معنى الآية: إلا أن تخافوا منهم خوفا وهذا هو معنى التقية** ... فأما الذي تكون منه التقية؛ **فكل قادر غالب مكره يخاف منه، فيدخل في ذلك الكفار إذا غلبوا** ...".[1]

وعلى ضوء ما سبق، نتفهَّمُ توزيع الأدوار في صفوف الجمعية؛ ففي الخارج تصدرُ في الشهر الأول من اندلاع الثورة فتاوى وبيانات مؤيدة، بل شديدة في لهجة المناصرة، على يد الإمام الإبراهيمي والشيخ الفضيل الورثيلاني، وفي المقابل نجد استخفاءً في إعلان الموقف الرسمي داخل الجزائر، وتريثا في إعلان الموقف اتقاء لشر فرنسا، وضنًّا بالمكتسبات التي حققتها الجمعية أن يتسلط عليها المستدمر.

2 - الموازنة بين المصالح والمفاسد:

الفقيه حقا هو من يعرف خير الخيرين وشرَّ الشرين، ويدفع أعظم المفاسد بارتكاب أدناها، ويُحَصِّلُ أكبر المصالح بتفويت أدناها، وهذا مقرر في مواطنه من كتب الأصول والفقه، وعليه جرى عمل الفقهاء، وهم في ذلك متفاوتون بحسب علو كعبهم في الفقه.

وجمعية العلماء غداة الثورة صاحبة مشروع قائم بذاته؛ فمعهد ابن باديس وعشرات المساجد والمدارس والنوادي التي ينتظم تحتها آلاف الطلاب والتلاميذ وأنصار العلم والمعرفة، كل هذا في الاصطلاح الفقهي **مصلحة متيقنة**، أما الثورة فهي **مصلحة مظنونة**، للأسباب التي أسلفنا ذكرها ولغيرها؛ وقد تكون عند بعض الفقهاء؛ ممن لم يعالج شؤون الحرب مصلحة موهومة.

فأمام هذا الحدث الجلل ينبغي للفقيه أن يتأنَّى في إصدار موقفه؛ **لأنَّ له مسؤولية شرعية على دماء المسلمين**؛ ولأنه يزجي بجميع منجزاته المتيقنة في ثورة يُدرى أولها، ولكن لا يُدرى آخرها، بل لو أردنا أن نعتبرها بالثورات السابقة لغلب على ظن بعضنا آيلولتها إلى الفشل.

وهذا فيما أحسبه هو الذي جعل علماء الجمعية يقفون موقفين: داخلي متردد، وخارجي مؤيد، وموقف لبعضهم سِرِّي في النصرة، وآخر جهري في الحياد، والدليل على هذا أنه طوال هذه المدة (1 نوفمبر 1954 م – 07 جانفي 1956م) أي ما يربو على العام؛ **لم يُكتب أيُّ حرف في**

[1]. تفسير ابن عطية (1/419-420).

البصائر أو غيرها يستنكر موقف علماء الجمعية في القاهرة أو يُدينهم؛ وهذا يؤكد المأخذ الذي سبقت حكايته.

3 – **الثورة الإعلامية بطريق التورية:** بعض الجهات تُدين سكوت الشيخ التبسي وعلماء الجمعية في هذه المرحلة، ولكنهم يغفلون عن وظيفة جهادية عظيمة كانت تسديها إلى الثورة، وهي نقل أخبار عمليات الثورة عبر القطر الجزائري، مع التحوط من كيد فرنسا بتسميتها بمصطلح "الأزمة"، وهذا العمل الإعلامي في هذا التوقيت الحرج لم يكن لينطليَ على فرنسا، ولكنها لم تكن تريد استفزاز الجمعية، وترغب في تحييدها ثم توريطها في مفاوضات بدلا عن الجبهة وجيش التحرير الوطني، وهذا ما رفضه الشيخ العربي التبسي رفضا قاطعا، وانتهى بفرنسا لاحقا أن تتخذ قرارها باغتياله.

هذه جملة من المآخذ الشرعية التي ينبغي استحضارها لفهم موقف الجمعية ورئيسها الإمام التبسي.

رابعا: موقف الإمام العربي التبسي رئيس الجمعية من إعلان الثورة بعد إشهار تأييد الجمعية لها:

لم يشهر الإمام التبسي تأييده علنا إلى غاية تاريخ 23 جمادى الأولى 1375هـ الموافق 07 جانفي 1956م، حيث صدر قرار الجمعية الرسمي بتأييد الثورة، وهو ما صرح به بعدها للصحافة الفرنسية حين سئل من جريدة le monde الفرنسية: متى انضممتم إلى هذا الموقف المتشدد ؟!؛ فقال: "**أما كشخص فقد كان موقفي هذا دائما، وأما كجمعية فعزمنا هذا أعلنا عنه منذ يناير الأخير**".[1]

العجيب أن من يغمز موقف الجمعية والإمام التبسي من الثورة، لا يقف كثيرا مع إعلانها للتأييد رغم عظم الموقف وهوله، فقد أشهر الإمام العربي التبسي موقفه علنا، وانتهى به الحال إلى الاستشهاد في سبيل الله تعالى، ولا نزكي على الله تعالى أحدا.

ويمكن فقهيا لحظ الآتي في هذا الموقف:

1 – جهاد الكلمة: المتتبع لسير الثورات الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي يجد أن من أهم أسباب فشلها، وقوف بعض علماء السوء مع الاحتلال الفرنسي، وتوظيف سلاح الكلمة أقصد الفتوى في وجه الثوار، وهذا ما يلحظه الناظر في ثورة الأمير عبد القادر، حيث وظَّفَ الجاسوس الفرنسي: ليون روش –الحاج عمر– سلاح الفتوى ضد الأمير، واستصدر فتاوى في الداخل والخارج تنزع شرعية المقاومة عن ثورة الأمير، وتكسوه وصف الإفساد في الأرض.

[1]. الشيخ العربي التبسي حقائق وشهادات، ص 278.

ومن هنا، يستعظم المنصفُ موقف الجمعية المؤيد للثورة ممثلة في الإمام التبسي وإشهاره أمام فرنسا، وهم تحت سمعها وبصرها، وهذا من أعظم الجهاد بنص حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الجِهَادِ كَلِمَةَ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ**»،[1] وهذا إذا كان مسلما جائرا؛ فكيف إذا كان كافرا جائرا ؟!، وعِظَمُ الثواب تعلق بعظم البلاء؛ فالناطق بالحق بين يدي الظالم يسومه سوء العذاب كما يشاء، إلا أن يعافيه الله تعالى الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

2 – **الأخذ بالعزيمة وترك الرخصة**: الشريعة الإسلامية تبيح للمكره أن ينطق بكلمة الكفر إذا خشي على نفسه، فيقول الله تعالى: ﴿**مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ (النحل: 106)، والإمام التبسي كان في مُكنته أن يأخذ بالرخصة؛ فلا ينطق بحق ولا بباطل، وله في ذلك مندوحة عند بعض الفقهاء، ولكنه أخذ بالعزيمة في الوقت المناسب فاستحق الإمامة حقا، وهذا شأن العلماء؛ فقد قيل للإمام أحمد : "إذا سكت العالم تقية والجاهل يجهل فمتى يظهر الحق".

3 – **الرباط مع الشعب**: قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ (آل عمران: 200)، وعلماء الجمعية كانوا يعدون الجزائر أرض رباط للتعليم؛ فكيف إذا صارت رباط جهاد في سبيل الله تعالى؟، وقد حرص بعض قادة الثورة على حياة الإمام التبسي، فعرضوا عليه الخروج فأبى، وقال: "**من يموت مع الشعب إذا خرجنا**".

وهذا شأن الأئمة الذين لا يفرون ولو ساغ الفرار؛ لأنهم يرون أنفسهم رؤوس القوم، فهم أمراء من غير إمارة، يقول الإمام الخرشي: "فأمير الجيش لا يجوز له الفرار، ولو أدى إلى هلاك نفسه".[2]

هذه جملة من الملاحظ أحسبها توضح بعض مدارك موقف الإمام من الثورة، ولو سلمنا للمتنقصين غمزهم للتبسي؛ فحسبهم استشهاده، وليست العبرة عند العقلاء بنقص البداية وإنما بكمال النهاية.

قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ (الحشر: 10).

---

[1]. رواه أحمد، رقم: 18830، والترمذي، رقم: 2174، وأبو داود، رقم: 4344، وابن ماجه، رقم: 4011، وحسنه الترمذي وصححه الألباني والأرناؤوط.

[2]. شرح مختصر خليل (115/3).

خاتمة:

في نهاية هذه المداخلة نخلص إلى نتائج، إليك أهمها:

1. شخصية الإمام العربي التبسي ثورية لا غبار عليها.
2. تميزت مواقف الإمام العربي التبسي من الثورة بالاحتكام إلى المرجعية الفقهية الشرعية.
3. آمن الإمام العربي التبسي بأن تحرير العقول مقدم على تحرير الحقول؛ فأسهم في تخريج أبطال حملوا لواء الثورة.
4. سارع الإمام العربي التبسي بصفته الفردية إلى تأييد الثورة ودعمها سرا فقهيا وماليا.
5. تجنب الإمام العربي التبسي تأييد الثورة علنا بصفته رئيس الجمعية ترجيحا للمصالح المتيقنة على المصالح المظنونة، ومتربصا مستقبل الثورة حتى يشتد عودها.
6. أعلن الإمام العربي التبسي تأييد الثورة بصفته رئيس الجمعية في جانفي 1956م مشهرا سلاح الفتوى الشرعية العلنية في وجوه المحتل.
7. رابط الإمام العربي التبسي مع الشعب وأبى الخروج إلى تونس أو غيرها مُهدِفا نفسه للاستدمار الفرنسي.
8. استشهد الإمام العربي التبسي في ميدان الجهاد بالكلمة، وما أقعده عن حمل السلاح إلا كبر سنه واشتداد مرضه.

هذه أهم نتائج هذه المداخلة، وأما التوصيات؛ فإنني أهيب بالباحثين في علم التاريخ أن يستحضروا العلوم المساعدة في فهم مواقف الفقهاء، ويأتي على رأس ذلك علم الفقه وعلم أصول الفقه؛ لأنه من شأنه أن يجليَ لهم حقيقة الموقف من غير لبس ولا تحامل.

فهرس المصادر والمراجع:

- **الكتب:**

1. **الإبراهيمي،** محمد البشير. " آثار الإبراهيمي ". جمعه: أحمد طالب الإبراهيمي. (ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1997).
2. **بازور،** سليمان، "حياة البطل الشهيد مصطفى بن بولعيد"، (د ط، الجزائر، دار الشهاب، 1988م).
3. **ابن حنبل،** أحمد بن محمد. " المسند ". تحقيق: شعيب الأناؤوط وآخرون. (ط 1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1417 هـ).
4. **أبو داود،** سليمان بن الأشعث. " سنن أبي داود "، اعتنى به: مشهور آل سلمان. (ط1، الرياض، مكتبة المعارف، د ت).
5. **ابن عطية،** عبد الحق بن غالب. " آثار الإبراهيمي ". (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1422هـ).
6. **قدامة،** عبد الله بن أحمد. " المغني ". (د ط، القاهرة، مكتبة القاهرة، 1388 هـ).
7. **القرطبي،** محمد بن أحمد. " الجامع لأحكام القرآن ". صححه: أحمد عبد العليم البردوني وآخرون، (د ن).
8. **فارال،** دومينيك، " معركة جبال النمامشة ". (د ط، الجزائر، دار القصبة، 2008م).
9. **سعد الله،** أبو القاسم، "تاريخ الجزائر الثقافي"، (دط، الجزائر، دار البصائر، 2007م).
10. **ابن ماجه،** محمد بن يزيد. " سنن ابن ماجه ". اعتنى به: مشهور آل سلمان. (ط1، الرياض، مكتبة المعارف، د ت).
11. **الميلي،** مبارك، "رسالة الشرك ومظاهره"، تحقيق: أبو عبد الرحمن محمود، (دط، الرياض، دار الراية، 2001م).
12. **لدرع،** كمال، "فتاوى الشيخ العلامة العربي التبسي وأثرها في نشر الوعي الوطني ومقاومة الاستعمار الفرنسي"، ضمن كتاب العالم الشهيد الشيخ العربي التبسي، (ط 1، قسنطينة، جامعة الأمير عبد القادر، 2012م).

- **الدوريات:**

1. أحداث 08 ماي 1945 دراسة تاريخية قانونية، بشرير وهيبة وحليس لخضر، المجلة الأكاديمية للبحوث القانونية والسياسية، المجلد السادس، العدد الأول، ص 126-144.
2. دور الشيخ العربي التبسي في الحركة الوطنية والثورة التحريرية، خالد حموم، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 01، العدد 02 جوان 2013، ص 256-270.

3. الشيخ العربي التبسي والثورة التحريرية- حقائق وشهادات-، لهلالي أسعد، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة محمد بوضياف، العدد 08 جوان 2018، ص 273-281.
4. مجلة المنار، السنة الثانية، العدد الصادر بتاريخ 6/ 2/1953.